سرُّ الحياة

واكتشاف مهمٌّ فيهِ

من القضايا التي تحار الافهام في حلها قضية الحياة واصلها . وفيها قولان فاما ان تكون قد ظهرت في الوجود بخلق خالق كما هو رأي اكثر المتقدمين واما ان تكون نتيجة فعل القوات الكيماوية والطبيعية في المادة غير الآلية كما يذهب اليهِ علماء هذه الايام

على ان من الامور المشهورة عند العلماء ايضاً ان الجسم الحي لا يتولد من غير الحي . وقد حاول كثيرون من الكيماويين توليد الحياة من المركبات الكيماوية فاخفقوا سعياً . وادعى احد العلماء الاميركيين حديثاً انهُ فاز بتوليد الحياة من الجماد ولكن تجاربهُ لم تعرض للنقد والامتحان بعد

وليس ثمة سببٌ علميٌّ يمنع توليد الحي من غير الحي فان القاعدة المشهورة عند العلماء وهي ان الحي لا يتولد الا من الحي مبنية على انهُ لم يشاهد تولد الحي من غير الحي . ولكن معظمنا يوافق هكسلي على قولهِ انهُ لو امكننا الرجوع الى الزمن الذي كانت الارض فيهِ طفلة تتقلب عليها الاحوال الطبيعية والكيماوية لرأينا تولد البروتوبلازم اساس الحياة الطبيعي من المادة الجامدة وهذه خطوة طبيعية في ناموس النشوء والارتقاء ولكنها اصعب الخطى والاعتقاد بها انما هو مجرَّد اعتقاد فلسفي

وآخر من ازاح بعض الستار عن سرِّ الحياة الدكتور بستيان فانهُ قرأ مقالة مهمة على الجمعية الملكية الانكليزية حديثاً في هذا الموضوع . والدكتور بستيان هذا احد الذين يقولون بالتكوين المختلف . ويراد بالتكوين المختلف نشوء احدى صور الاحياء من صورة اخرى مختلفة عنها وقد ورد في خرافات القرون الوسطى ان الوز يتولد من بعض ذوات الاصداف والحملان من بعض النباتات . واعتقد كثيرون بعد ذلك ان الحشرات التي تكوِّن العفص على الشجر تتولد من الشجر نفسهِ وان الدود الذي يوجد في جسم الانسان كالدودة الوحيدة وغيرها يتكون من الجسم نفسهِ . ولكن هذه الاوهام كلها زالت بعد ان ثبت ان كل حملة من الحلم تتكون من بيضة باضتها حملة من نوعها سابقة

ولكن معظم علماء الحياة ينكرون مذهب التكوين المختلف فلا يسلِّم بهِ الا نفر قليل منهم وكان علماء الحيوان يسلمون بمذهب التكوين المتماثل كما يسلم العلماء الطبيعيون بمذهب دلتون

في الجوهر الفرد . ويراد بالتكوين المتماثل نشوء الحيّ من حيٍّ مثله . وكما ان اكتشاف الراديوم ابطل مذهب دلتون او ابعده درجات كثيرة وأحلَّ الايون محل الجوهر الفرد لا يستبعد ان مذهب التكوين المختلف يحلُّ محلَّ مذهب التكوين المتماثل بما أبانهُ الدكتور بستيان. فقد أبان بالتجربة ان الحيّ يتولّد احيانًا من حيٍّ آخر يختلف كلَّ الاختلاف عنهُ في احوال طبيعية محضة . وتجربتهُ هي انهُ اخذ بيوض حيوان مكرسكوبي اسمهُ هيداتينا يوجد عادة في المياه الراكدة ووضعها في مكان حجب عنهُ النور وبعض الاشعة غير المنظورة فوجد ان بعضها يخرج دائمًا حيوينات تختلف عن الحيوين الاصلي وخصوصًا في ان كلا منها يتألف من خلية واحدة ثُمَّ جميع الوظائف الحيوية كما في سائر الحيوينات الدنيا على حين ان الحيوين الاصلي الذي تولّدت منهُ تلك البيضة يتألف من عدة خلايا . ونتيجة هذه التجربة في اعين علماء الحياة لا تقلُّ في اهميتها وغرابتها عن تولّد العصفور من المرة او الصفدع من بيضة الدجاجة

واهمية هذا الاكتشاف من وجهين احدهما انهُ يوضح لنا كيف نشأت صور الاحياء المتعددة التي على الارض الآن من الجراثيم الاصلية في المدة القصيرة التي يعينها العلماء الطبيعيون لذلك . وقد كان اكبر العقبات في وجه علماء النشوء والارتقاء ان يبينوا ما اذا كانت المدة التي وجدت الارض فيها من حين صارت صالحة لسكن الاحياء كافية لنشوء الانسان وارتقائهِ من نطفة بروتوبلازم لا ترى لصغرها وتدرُّجهِ في درجات الارتقاء الى ان صار انسانًا . فاذا امكن تولد حيٍّ من حيٍّ اخر مختلف عنهُ تولدًا ذاتيًّا زالت تلك العقبة

والوجه الثاني انهُ اذا تقرَّر تحوُّل الحيّ من صورة الى صورة اخرى مختلفة عنها عُرف بعض الشيء عن اصل الحياة . فان ثبوت تحوُّل العناصر في السنوات الاخيرة أماط اللثام عن اصلها وهو مادة تشبه ما نسميهِ بالكهربائية فاذا كان انحجاب النور والاشعة غير المنظورة يؤثر هذا التأثير في الخلايا الحيوية فلا يستبعد ان الاحوال التي وجدت الارض فيها عند تكوينها افضت الى نشوء المادة الحية من غير الحية

الجرائد الانكليزية

للجرائد الانكليزية المقام الاول في عالم الصحافة والشأن الاعظم في سياسة الممالك . وقد تفوقها الجرائد الاميركية في اثارة الخواطر والجرائد الفرنسوية في عدد القراء ولكن لا تدانيها جريدة في مالها من السطوة على الشؤون العامة . وكلامنا الآن منحصر في الجرائد اليومية التي تصدر في الصباح كالتيمس والدايلي نيوز والدايلي ميل ففي ادارة كل جريدة منها جماعة من عارفي اللغات الاوربية كلها واشهر اللغات الشرقية كالعربية والهندية والصينية واليابانية وبعض اللغات غير المشهورة . تأتي الرسائل البرقية كلَّ يوم من جميع اطراف الكون بلغات متعددة فيترجمونها الى الانكليزية وكثيرًا ما تنشر من اخبار الدول ما يمنع رجال السياسة ارساله ونشره لكن مراسليها في العواصم الاوربية يرسلون رسائلهم البرقية بلغات غريبة او يرسلون الرسالة الواحدة بعدة لغات او يرسلونها بلغة مفهومة ولكن معناها الباطن غير منطوقها الظاهر

وكتّاب الجريدة قسمان قسم شغلهُ جمع الاخبار وقسم انتقادها ونزرها واعدادها للطبع والنشر والاول يشتغل نهارًا والثاني ليلاً . وما يجمعهُ الواحد في النهار يصححهُ الآخر وينقحهُ في الليل . والجريدة في يد اثنين رئيس المحررين ورئيس مساعدي المحررين وتحت الاول محرر للادارة ومحرر للاخبار الداخلية ومحرر للاخبار الخارجية ومحرر لاخبار المشاهد والملاعب ونحوها وتحتهم المراسلون الخصوصيون والحربيون والمخبرون . وتحت الثاني محررو المقالات الافتتاحية من خارجية وداخلية

اما رئيس المحررين فهو المصدر الذي يستمد المحررون الآخرون آراءهم منهُ وهو قوام الجريدة . وثانيهِ في الاهمية المحرر الاداري وهو المسؤول عن موظفي الادارة وعن المكاتبين الحربيين والخصوصيين ومنشئي المقالات الافتتاحية بوجه خاصّ . وقد يكون احيانًا رئيس المحررين وشأنهُ في الجريدة عظيم

ويبلغ منشئو الجريدة اليومية من جرائد لندن الكبيرة ٥٠ نفسًا الى ٧٥ ورتبا بلغوا هم ومكاتبو الجريدة في جميع الاقطار عدة مئين. ويلي المنشئين مساعدوهم الذين يقومون مقامهم اذا مرضوا او غابوا

وجمع الاخبار في قائم بنفسهِ . ولا يراد بها الاخبار الاعتيادية التي يتصل علمها بالجميع

مثل اخبار دوائر البوليس والمحاكم وسباق الخيل وما اشبه بل الحوادث التي تحدث فجأة تضطر محرري الجريدة الى تغيير مجرى الاشغال والاعمال. ومن اوضح الشواهد على ذلك فتنة السرب التي قتل فيها الملك اسكندر وزوجته منذ نحو سنتين فان الجرائد كانت مشغولة حينئذٍ بالوزارة الانكليزية متوقعة حدوث ازمة فيها لوقوع الخلاف بين المستر تشمبرلن ناظر المستعمرات حينئذٍ وبين ناظر المالية وبينما كان المحررون ينشرون المقالات الطوال العراض في ذلك اذا بالبرق قد طير خبر فتنة السرب وقتل الملك والملكة فتوقفت حركة الاعمال في الجرائد بغتة ثم عادت المياه الى مجاريها باسرع من لمح البصر واخذ المحررون والمخبرون والعمال يشتغلون بها. فأرسل المخبرون الى كل جهة لمقابلة المطلعين على احوال السرب خصوصاً والبلقان عموماً واستطلاع آرائهم في هذا الشأن وأرسلت الرسائل البرقية الى غيرهم من الكتاب ذوي الكلمة الراجحة لكي يقولوا كلمتهم ويبدوا حكمهم. وأنفذ المكاتبون على عجل الى بلغراد عاصمة السرب ليوافوا الجرائد بالاخبار المهمة. وأبلغ المكاتبون الخصوصيون المقيمون في العواصم الاوربية ان يراقب كل واحد منهم عمل الحكومة التي يقيم في عاصمة بلادها. وانتدب الرسل للتفتيش عن ورثاء ملك السرب ومعرفة محل اقامتهم ومقابلتهم. فظهرت جريدة الديلي اكسبرس صباح اليوم التالي لمقتل الملكين وفيها ١٦ عموداً عن فتنة السرب وهو ثلث ما جمعهُ مخبرو الجريدة ومكاتبوها في عشر ساعات من وقوع الحادثة ولكن لم يمكن نشرهُ كلهُ في وقت واحد. وارسلت هذه الجريدة مئات من الرسائل البرقية في مدة ساعة بعد مقتل الملكين

وكثيراً ما يسأل رئيس مساعدي المحررين "ألا تجد صعوبة في اعداد الاخبار الكافية لجريدتك كل يوم" فيجيب وجوابهُ الحق انهُ يجد كل الصعوبة في اعداد المكان الكافي لما عندهُ من الاخبار لا في اعداد الاخبار الكافية لما عندهُ من المكان وفي يدهِ زمام كل ما يرد من الرسائل فينشر ما يشاء ويهمل ما يشاء فان رئيس المحررين يرسم الخطة التي يشاؤها والمحررين يأمرون بما يشاؤون والمخبرين يتفننون ما شاؤوا في وصف الحوادث التي يشاهدونها والمراسلين يسهبون ويفيضون في الشرح والتعليق ولكن رئيس مساعدي المحررين لا يبالي بذلك كلهِ فيمزق من الرسائل التي تعرض عليهِ ما شاء ويحذف من البقية ما لا يرضيهِ

يبدأ عملهُ هو ومساعدوهُ الساعة السادسة مساء. فيعطى جميع الكتب والرسائل التي ترد على الادرة نهاراً ولا يترك الادارة حتى الساعة الثانية او الثالثة بعد نصف الليل اي حتى الشروع في طبع الجريدة فيحذف ما يشاء ويثبت ما يشاء عالماً ان الحكم بمقدرتهِ يبنى على ما ينشرهُ لا على ما يهملهُ

وكثيرون من المحررين لايخطون حرفاً من انشائهم بل شغلهم تنقيح مايكتبهُ غيرهم . ولرئيس التحرير وحدهُ ان يحكم في اي الاخبار ينشر مطولاً واييها ينشر موجزاً في سطرين او ثلاثة . فتارة ينشر الرسائل التي ترسل الى الجريدة على علاتها وطوراً يبالغ في اختصارها تبعاً لاهميتها والثقة في مصدرها ومن الرسائل ما يهملهُ ثم يعود اليهِ بعد ساعة لانهُ يرى بين الاخبار ما يؤيدهُ

ومتى أُعدت المواد اللازمة للجريدة ترسل الى العمال ليجمعوها ثم تؤخذ المسودات الى المحررين الاصليين ثم الى المحرر الاداري فيغيرون ويضيفون او يحذفون على مايرومون . والمحرر الاداري يقرأ جميع المسودات ليتحقق انهُ لم ينشر في الجريدة طعنٌ او شيءٌ آخر لا يصلح نشرهُ وهو مسأول عن ذلك امام رئيس المحررين وهذا مسأول عن كل ما ينشر في الجريدة

وقد يعرض احياناً ما يمنع نشر عمود او اكثر من الاخبار والجريدة مهيأة للطبع فيعمد رئيس تحرير الليل الى مقالات أُعدت لمثل ذلك فينشر احداها

واصعب ساعات الجريدة الساعة التي لتقدم صدورها اذ ينبغي حينئذٍ عمل كل شيء على عجل وبلا اقل تباطوء خيفة انهُ اذا تأخرت الجريدة فاتتها القطرات فتأخر توزيعها على المشتركين

وابواب الجريدة اليومية لا تقفل البتة لا نهاراً ولا ليلاً فان آخر محرر يترك الادارة نحو الساعة الخامسة صباحاً واول مخبر يدخل الادارة نحو الساعة التاسعة صباحاً . ويقام بين الساعتين رجل على التلفون لتلقي ما عسى ان يرسلهُ المخبرون من الاخبار

هذا وما تستطيعهُ الجرائد الكبيرة في اوربا واميركا لا تستطيعهُ غيرها لان قوة الجريدة مستمدة من المال الذي تستطيع انفاقهُ على استخدام كبار الكتاب والمحررين وجمع الاخبار من البلدان ولا يأتيها المال الا اذا كثر قرأؤها والمعلنون فيها ولا يكثر هؤلاء الا اذا كانت في لغة يتكلمها عدد كبير من الناس وجانب كبير منهم من المتعلمين وكانت معامل البلاد كثيرة وتجارتها واسعة حتى ينفق اهاليها على نشر الاعلانات. وهذه المزايا متوفرة للامة الانكليزية اكثر مما هي متوفرة لغيرها . أضف الى ذلك كون الامتين التين تتكلمان الانكليزية في انكلترا واميركا حكومتاهما دستوريتان وللشعب فيهما صوت مسموع تردده الجرائد فيضطر رجال الحكومة ان يصغوا اليهِ ولا يستطيعون ان يسكتوهُ او يصموا آذانهم عنهُ

الشكل الاول

الشكل الثاني

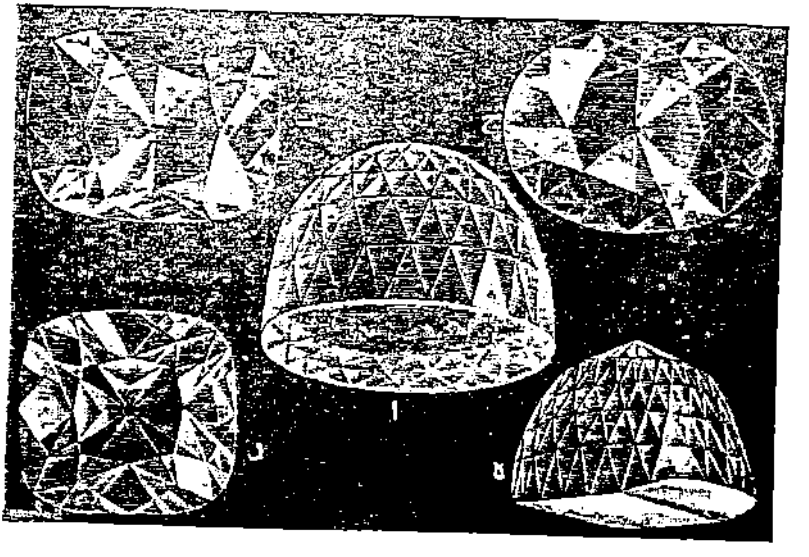

الشكل الثالث